

أضواء البيان

@ 235 كما جاء في حق فرعون في قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنزَّهُ لِي لِأَنَّ الْبِرَّ أَصْلَابُ الْإِنْسَانِ لِيُرَىٰ بِهِ مَنِ السَّادِدِينَ } ، فقيل له : { وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَبَاتٍ لِيُحْيِيَ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ } . . .

وجاء أصح ما يكون في قوله : { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ زَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَّا مِن قَبْلُ } ، فكيف له : { وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَبَاتٍ لِيُحْيِيَ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ } . . .

فلما جاء بعض آيات [] وظهر الحق ، لم يكن للإيمان محل بعد المعاينة { لَا يَنْفَعُ زَفْسًا إِيْمَانُهَا } أي من قبل المعاينة كحالة فرعون المذكورة ، لأن حقيقة الإيمان التصديق بالمغيبات ، فإذا عاينها لم تكن حينذاك غيباً ، فيفوت وقت الإيمان والعلم عند [] ، وعليه حديث التوبة : ما لم يغفر . قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } . والخشية : شدة الخوف ، كما قال تعالى : { الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ } . . .

وبين تعالى محل تلك الخشية في قوله : { إِنَّ زَمَّامًا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } لأنهم يعرفون حق [] تعالى وبرايقونه . . . وقد بين تعالى حقيقة خشية [] : { وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } . . . وقوله : { لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } . . .

فالذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين يعرفون حق [] عليهم ومراقبته إياهم في السر والعلن ، ويعلمون أنه مطلع عليهم مهما تخسفوا وتسترُوا وهم دائماً منيبون إلى [] ، كما في قوله : { هَٰذَا مَا تَدْعُونَ لِكُلِّ أَوْسَابٍ حَفِيظٍ مِّنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَٰنِ } . . . وبين أنها منزلة العلماء . . .

وقد عاب تعالى أولئك الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من [] ، ويخشون

